السنة السابعة والتسعون بعد المئتين

فيها قال ثابت بن سنان: رأيتُ في بغداد في صَدْر خلافة المقتدر امرأةً بلا ذراعين ولا عَضُدين، ولها كفَّان بأصابع تامَّة معلَّقان في رأس كتفَيْها، لا تعمل بهما شيئاً، وكانت تعمل أعمال اليدين برجليها، تَغْزِل برجليها، وتمدُّ الطاقة وتسوِّيها، وتُسَرِّح المرأةَ برجليها. قال: ورأيت [امرأة أخرى] بعَضُدَين وذراعين وكفَّيْن، إلَّا أنَّ كلَّ واحد من الكفَّين يَنْخرطُ ويدقُّ إذا فارق الزَّنْدين؛ حتى ينتهي إلى رأسٍ دقيق يمتدُّ فيصير أصبعاً واحدة، وكذا رجلَيْها على هذه الصُّورة، ومعها ابنٌ لها كذلك[1].

وفي المحرَّم ولد للمقتدر ابنٌ سمَّاه أحمد، ثمَّ توفي في رجب، وماتت أمُّ المولود في صفر.

وفي صفر أُدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قُبَّة على بغل.

وفيها تمَّ الفداء في بلد الرُّوم على يد مؤنس الخادم.

وفيها ظهر عُبيدُ الله أبو محمد المسمَّى بالمهديِّ، جدُّ الخلفاء المصريِّين على المغرب وبنى المَهْدِيَّة، وأخرج الأغلب، ودُعي له في رَقَّادة من بلاد القيروان، وخرجت المغربُ في هذه السنة من يد بني العبَّاس.

[وقال ثابت بن سنان: وفي سنة سبع وتسعين ومئتين] ورد الخبرُ بخروج زيادة الله [بن عبد الله بن] الأغلب عن بلده وهو إفريقية والقيروان من المغرب؛ لأنَّ عبيد الله العلويَّ أخرجه منها، وصار إلى مصر، فكتب إليه أن يصير إلى الرقَّة ويقيم بها[2].

[وقال ثابت:] وفي شعبان مات أبو العبَّاس أحمد بن محمد بن بِسْطام بمصر، وحُمِل تابوتُه إلى بغداد، فدُفن بمقابر باب الكوفة في رمضان، ثمَّ مات عيسى النّوشريُّ بمصر بعد موت ابنِ بسطام بعشرة أيام، وحُمل إلى البيت المقدس، وقلَّد المقتدر تكين

(١) المنتظم ١٣/ ٩٣.

(٢) ذكر هذه الأحداث ابن الأثير في الكامل ٨/ ٢٠ ـ ٥٣ مطولة في أحداث سنة (٢٩٦ هـ).

الخاصَّة أعمال المعاون بمصر في رمضان.

وفي رمضان مات القاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حمَّاد وله سبعٌ وثمانون سنةً[١] ، وصلَّى عليه ابنُه أحمد.

وفي رمضان مات أبو بكر محمد بن داود الأصبهانيّ.

وفي شوَّال مات أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات، وصلَّى عليه أخوه الوزير وكان أسنَّ من الوزير بثلاث سنين، وأقرَّ الوزير ابنَه أبا الفتح الفضل على ديوان المشرق.

وفيها مات محمد بن عبد الله بن عُبيد الله بن طاهر[٢] .

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك الهاشميُّ.

وفيها توفي

الجُنيد بن محمد [بن الجنيد]

أبو القاسم، القواريريُّ، الخزَّاز[٣] .

كان أبوه يبيع الزُّجاج وهو يبيع الخَزَّ، وأصلُه من نَهاوَنْد، إلَّا أنَّ مولده ومنشأه ببغداد.

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء الطريقة: كان الجنيد] سيِّد الطَّائفة، من كبار أئمَّة القوم وساداتِهم، مَقبولاً على جميع الألسُن، فقيهاً على مذهب أبي ثور، أفتى في حلقته وهو ابنُ عشرين سنة، وأخذ الطريقة من خاله سَرِيِّ السَّقَطي، وسَريٌّ أخذها من مَعْروفٍ الكرخيِّ،

(١) في أوراق الصولي ص٧٠ (ما لم ينشر من الأوراق): وسنه تسعون سنة، وفي الكامل ٨/ ٥٩ : وله تسع وثمانون سنة، وما سلف بين معكوفين من (ف م١).

(٢) في أوراق الصولي ص٧٠ ، والمنتظم ١٣/ ١٠٢ : محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر.

(٣) ترجمه ابن الجوزي ١٣/ ١١٨ ، وابن الأثير ٨/ ٦٢ في وفيات سنة (٢٩٨ هـ)، وصحح ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ٩٢٧ ، وانظر طبقات الصوفية ص١٥٥ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٦٨ ، ومناقب الأبرار ١/ ٣٠٨، والسير ١٤/ ٦٦ وغيرها كثير، وما بين معكوفين من (ف م١) ولن أشير إليه ثانية.

ومَعْروفٌ أخذها من عليِّ بن موسى الرِّضا .

قال الجنيد: ما أخرج[١] الله إلى النَّاس علماً وجعلَ لهم إليه سبيلاً إلَّا وقد جعل لي منه حظًّا ونصيباً.

قال الخُلديُّ: وبلغني أنَّ وِرْدَه كان كلّ يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة.

وقال السُّلَمي: كان يدخل كلَّ يوم حانوتَه، ويُسبلُ السِّتْر، ويصلِّي أربع مئة ركعة.

[وحكى الخطيب عن الخُلديِّ قال:] قال الجنيد: ما نزعتُ ثوبي للفراش منذ أربعين سنة.

[وقال الخُلديُّ:] أقام [الجنيد] عشرين سنةً لا يأكل إلَّا من الأسبوع إلى الأسبوع.

[وحكى الخطيب عن الخُلديِّ قال:] قيل للجنيد: من أين استَفَدْتَ هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدَّرَجة، وأومأ إلى درجة في داره.

[وحكى الخطيب عن] أبي عمرو بن علوان قال: خرجتُ في جنازة بالرَّحْبة، فوقعت عيني على امرأة مُسْفِرة من غير تعمُّد، فألححتُ بالنَّظر إليها، ثمَّ استرجعتُ، ورجعتُ إلى منزلي، فقالت لي عجوزٌ عندي: مالي أرى وجهك أسود؟! فنظرت في المرآة وإذا وجهي أسود، فذكرتُ النَّظرةَ، وأقمتُ أستغفر الله أربعين يوماً، فخطر لي في خاطري: انحدرْ إلى [شيخك] الجنيد، فانحدرتُ وجئتُ إلى بابه، فطرقتُه فقال: نعم يا أبا عمرو، تُذنب بالرَّحبة وأستغفر لك ببغداد، ادخل.

وقال الخلديُّ: رأيت بيد الجنيد سُبحةً، فقلت: أنت مع فضلك وشرفك تحمل سُبحة؟! فقال: نعم، طريقٌ عرفتُ الله به لا أفارقه.

وقال الجنيد: رأيتُ[٢] فقيراً عليه أَثَرُ النُّسُك يسأل النَّاسَ، فقلتُ في نفسي: لو عمل

---

(١) في (ف م١): قال الخطيب بإسناده عن جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول ما أخرج، والمثبت من (خ).

(٢) في (ف م١): وحكى عنه في المناقب قال رأيت، والمثبت من (خ).

هذا عملاً يصون به نفسَه كان أولى، ونمت تلك الليلة، فرأيتُ ذلك الفقيرَ قد جيء به على خِوان وهو ممدود، فقيل لي: كُلْ لَحْمَه فقد اغتبتَه، فلمَّا أصبحتُ خرجتُ أطوف عليه، وإذا به على دِجلةَ يلتقط أوراقَ البَقْل وما ينفصل منه، فلمَّا رآني قال: يا أبا القاسم، تعود؟ قلت: لا. قال: يغفر الله لنا ولك.

وقال الخلديُّ: جاءه رجل بخمس مئة دينار في أيَّام الموسم فقال: فرِّقها في الفقراء، فقال: ألكَ غيرها؟ قال: نعم، قال: أفترجو الزيادة فوقَ ما تملك؟ قال: نعم، قال: خذها، فأنت أحوجُ منَّا إليها، ولم يقبلها.

وكان يصحب الجنيدَ شابٌّ يتكلَّم على الخاطر، فقال له الجنيد يوماً: إيش هذا الذي يُذكَر عنك؟ فقال له الشابُّ: اعتقدتَ كذا وكذا، فقال الجنيد: لا، ثمَّ فعل ذلك ثانياً وثالثاً، والجنيد يقول: لا. فقال الشابُّ: أنت صدوق، وأنا أعرف قلبي، فما هذا؟ فقال الجنيد: صدقتَ في جميع ما قلتَ، وإنَّما أردتُ أن أمتحنك هل يتغيَّر قلبُك أم لا.

وقال الجنيد: رأيتُ شابًّا في البادية تحت شجرة أمِّ غَيْلان، فقلت له: ما تصنع هاهنا؟ فقال: حالٌ فقدتُه، فمضيتُ وتركتُه، فلمَّا قضيتُ الحجَّ عدتُ، وإذا به قد انتقل من ذلك المكان إلى مكان آخر قريبٍ من الشجرة، فقلت له: ما جلوسك هاهنا؟ قال: وجدتُ الذي كنتُ أطلبه في هذا الموضع فلزمتُه، قال الجنيد: فلا أدري أيّهما كان أشرف، لزومُه للمكان الأوَّل لفقد حاله فيه، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مُرادَه.

وقال جعفر الخلديُّ: دفع إليَّ الجنيدُ درهماً وقال: اشتر لي به تيناً وَزيريًّا، فاشتريتُه له وأتيتُه به، فأخذ واحدةً وجعلها في فيه، ثمَّ رمى بها وبكى، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: هتف بي هاتف: أما تستحي، تركتَ هذا من أجلي ثمَّ تعود إليه؟

وقال الجنيد: جاءني يوماً بعضُ الصالحين فقال: ابعث معي فقيراً أُدخل عليه سروراً، ويأكل عندي شيئاً، قال: وعندي فقيرٌ قد شَهِدت فيه الفاقة، فقلتُ: امضِ معه وأدخل عليه سروراً.

فمضى معه ثمَّ عاد سريعاً، وجاء الرجل فقال: يا أبا القاسم، ما أكل إلا لُقمةً، فقلت له: هلَّا أتممتَ سرورَ الشيخ، فقال: أكلتُ أكلةً في الكوفة، ودخلتُ عليك في

بغداد، وكرهتُ أن يَبدوَ منِّي سوءُ أدب من جَهْد الفاقة في حضرتك، فلمَّا دعوتَني سَرَرْتَني إذ جرى ذلك منك ابتداءً، فمضيتُ معه وأنا لا أرضى له بالجنان، فلما جلستُ على مائدته ما أكلتُ سوى لقمة، وقال: كلْ فهذه أحبُّ إلي من عشرة آلاف درهم، فلمَّا ثمَّن اللقمةَ علمتُ أنَّه دنيُّ الهِمَّة، فتطرَّقتُ عن أكل طعامه.

وقال الخلديُّ: كان شابٌّ يصحب الجنيد، فكان الجنيد كلَّما ذكر شيئاً صاح الشابُّ، فقال له الجنيد: إن فعلتَ هذا مرَّةً أخرى لم تَصْحَبني، فكان الشابُّ إذا سمع بعد ذلك شيئاً تغيَّر وضبط نفسه، فصاح يوماً صيحةً ومات[١].

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى الخطيب عن المرتعش قال:] قال الجنيد[٢]: كنتُ يوماً بين يدي السَّرِيّ وأنا ابنُ سبع سنين، وبين يديه قومٌ يتكلَّمون في الشُّكر، فقال لي: يا غلام، ما حدُّ الشُّكر؟ فقلت: أن لا يُعصَى الله بنِعَمِه، فقال السَّريّ: يا غلام، أخشى أن يكون حظُّك من الله لسانُك. قال الجنيد: فأنا أبكي على الكلمة التي قالها السَّري حتَّى ألقى الله تعالى.

وقال: الجنيد: مشى[٣] قوم على الماء باليقين، ومات بالعطش مَنْ هو أقوى يقيناً منهم.

[وحكى أبو نعيم[٤] عنه أنَّه] قال: لو أقبل مقبلٌ على الله ألف ألف سنة، ثمَّ أعرض عنه لحظةً واحدة كان ما فاتَه أعظمَ مِمَّا ناله.

وقال له رجل: على ما يتأسَّف المحبُّ؟ فقال: على زمانِ بَسْطٍ أورث قبضاً، وعلى زمانِ أُنْسٍ أورث وَحْشةً، ثمَّ أنشد: [من البسيط]

قد كان لي مَشْرَبٌ يَصفو برؤيتكم ... فكدَّرتْه يدُ الأيَّام حينَ صفا

قال المصنِّف رحمه الله: وقد مرَّ بي على هذا الوزن والرَّوِيِّ أبياتٌ من هذا الجنس، وهي: [من البسيط]

---

(١) ينظر ما سلف من أخبار في الرسالة القشيرية ص٢٥٣، ٣٢٨، ٣٧٤، ٥١٣.

(٢) ما بين معكوفين من (ف) و (م١)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٧٢.

(٣) في (ف م١): وقال ابن باكويه كان الجنيد يقول مشى، والمثبت من (خ)

(٤) في حلية الأولياء ١٠/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

هل عائدٌ وأحاديثُ المُنى خُدَعٌ على الغَضا زمنٌ من عيشنا سَلَفا
هيهات أن تُخْلِفَ الأيامُ من عُمُري شَبيبةً فيكمُ أنفقْتُها سَرَفا[1]

وقال أبو العبَّاس بن مَسْروق: كنتُ أمشي مع الجنيد في بعضِ دُرُوب بغداد، وإذا بمغنٍّ يغني: [من البسيط]

منازلٌ كنتَ تهواها وتألَفُها أيَّام أنت على الأيَّام منصورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديداً وقال: يا أبا العبَّاس، ما أطيبَ منازلَ الأُلْفة والأُنْس، وأوحشَ مقاماتِ المخالفات، لا أزال أحنُّ إلى بَدْء إرادتي، وحِدَّة سَعْيي، وركوبي الأهوالَ طمعاً في الاتِّصال، وها أنا ذا في أيَّام الفترة أتأسَّف على أوقاتي الماضية.

وسئل[2] الجنيدُ: مَن العارفُ؟ فقال: مَن يَنطِق عن سرِّك وأنت ساكن[3].

وقال: لا يَصِلُ العبدُ إلى مقام الحريَّة وعليه ذرَّة من حقيقة العبودية.

وقال: المعرفة على رؤوس العارفين أحسنُ من التِّيجان على رؤوس الملوك.

وقال: ما نجا مَن نجا إلَّا بصدق اللَّجا.

وقال: المسير من الدُّنيا إلى الآخرة سهلٌ، ومن النَّفس إلى الله صعبٌ، والصَّبر مع الله أشدُّ.

وقال: حدُّ الصَّبر تجرُّع المرارات من غير تَعْبيس.

وقال: الحكايات جُندٌ من جنود الله تعالى، يقوِّي بها قلوبَ المريدين، قيل له: فما الشاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية [١٢٠ : هود].

وقيل له: ما الفرق بين المريد والمراد؟ فقال: المريد تتولَّاه سياسة العلم، والمُراد تتولَّاه رعايةُ الحقِّ، المريدُ سائر، والمُرادُ طائر، ومتى يلحق السائرُ بالطائر؟

وقال: الصادقُ يتقلَّب في اليوم أربعين مرَّة، والمرائي يثبتُ على حالة واحدة أربعين سنة.

---

(١) هذان البيتان لسبط ابن التعاويذي وهما في ديوانه ص٢٩١ .

(٢) في (ف م١): وحكى في المناقب وقال سئل، والمثبت من (خ).

(٣) طبقات الصوفية ص٢٤٠ ، وحلية الأولياء ص٢١٤ .

وسُئل عمّن خرج من الدُّنيا ولم يبق عليه إلا مقدارُ مصِّ نواة؟ فقال: المكاتَبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم [وهذا الجواب في غاية الجودة] (١).

وقال الفتوَّة بالشام، واللِّسان بالعراق، والصِّدق بخراسان.

وقال: الفتوة كفُّ الأذى وبَذْلُ النَّدى.

وقال: قال لي سريٌّ: تكلَّمْ على النَّاس ـ وكان في قلبي حِشْمةٌ من الكلام عليهم ـ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ليلةَ جُمعة، فقال: يا جنيد، تكلَّمْ على النَّاس، فانتبهتُ، وأتيتُ باب سَرِيّ قبل أن أُصبح، فطرقتُه فقال: لم تصدِّقنا حتَّى قيل لك؟ قال: فجلست في الجامع، واجتمع النَّاس فوقف عليَّ غلام فقال: ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله»؟ ـ[وسنذكر الحديث في آخر ترجمة الجنيد]ـ فوقع في قلبي أنَّه نصرانيٌّ، فقلت: أنْ تُسلمَ فقد آنَ وقتُ إسلامِك، فأسلم (٢).

وقال: إذا رأيتَ الصُّوفي يعنَى بظاهره فاعلم أن باطِنَه خراب.

وقال: علمُ التوحيد علمٌ تَضْمَحِلُّ فيه الرسومُ، وتندرج تحته العلوم، وقد طُويَ اليوم بساطه، وإنَّما يتكلَّم النَّاسُ في حاشيةٍ من حواشيه.

وقال: أشرفُ كلمةٍ في التوحيد قولُ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: سبحان مَنْ لم يجعلْ لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلَّا بالعجز عن معرفته.

وقال الكتَّانيُّ: جرت مسألةٌ في المحبَّة في أيَّام الموسم بمكَّةَ، فتكلَّم فيها الشيوخُ، وكان الجنيد أصغرَهم سنًّا، فقالوا: هاتِ ما عندك فيها يا عراقيّ، فأطرق ودَمعتْ عيناه، ثمَّ رفع رأسه وقال: عبدٌ ذاهبٌ بنفسه، متَّصل بربِّه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرقتْ قلبَه أنوارُ [عظمته و] وحدانيته، شرب بكأس ودِّه من صفاء شربه، فإن تكلَّم فبه، [وإن سكت فبه، وإن تحرَّك فبه،] وإن سكن فبه، فهو بالله ومع الله ولله وفي الله، فبكى القوم وقالوا له: أحسنتَ يا تاجَ العارفين.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٧ ، والرسالة القشيرية ص١٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٩ ، وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

(٢) الرسالة القشيرية ص٣٦٠ ـ ٣٦١ ، ٣٧٧ . والحديث أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال: هذا حديث غريب.

وقيل له: لم يبكي المحبُّ عند لقاء محبوبه؟ فقال: في الأول سُروراً بلقائه، وفي الآخر خَوفاً من فراقه.

وقال: التقى محبَّان فتعانقا، فقال أحدهما: واشوقاه، وقال الآخر: واوجداه.

وقيل له: ما بالُ الإنسان يكون هادئاً فإن سمع السَّماع اضطرب؟ فقال: لأنَّ الله تعالى لَمَّا خاطب الذَرَّ يوم الميثاق وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغت عُذوبة سماع الكلام الأرواح، فإذا سمعوا ذكره ذكروا العَهْد فاضطربوا.

وقال الجنيد: دخلت يوماً على سَرِيٍّ وعنده رجلٌ مغشيٌّ عليه، فقلت: ما حاله؟ قالوا: سمعَ آيةً من كتاب الله تعالى، فقلت: تُقرأ عليه الآية مرَّةً أخرى، فقال: من أين لك هذا؟ قلت: من قميص يوسف عليه السَّلام؛ فإنَّ بسببه ذهبتْ عينا يعقوب عليه السلام، وبالقميص عادتْ، فاستحسن سريٌّ منِّي ذلك.

[وقال الخلديُّ: قيل للجنيد: أيزلُّ العارف؟ فقال: وكان أمر الله قَدَراً مَقْدوراً.]

وقال: رأيتُ في المنام كأنَّني أتكلَّم على النَّاس، فوقف عليَّ ملكٌ وقال: أقربُ ما تقرَّب به المتقرِّبون إلى الله ماذا؟ فقلت: عملٌ خفيٌّ بميزانٍ وفيٍّ، فولَّى الملكُ وهو يقول: كلامٌ موفَّق والله[١].

وقال: إذا تخلَّى العبد عن الدُّنيا وما فيها فُتحت له أبوابُ المشاهدة، فيستريح من غموم الدُّنيا وما فيها، ويتنزَّه في رياض التَّوفيق، بين يديه قائدُ الحقيقة، فيكتفي بالله عمَّا سواه.

وقال: [مَنْ فتح على نفسه باب نيَّة حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق، و] مَنْ فتح على نفسه بابَ نيَّةٍ سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخُذْلان من حيثُ لا يشعر.

وقال له رجل: العناية قبل البداية؟ فقال: بل قبل خلق الماء والطين.

وسئل عن قوله عليه الصلاة السلام: «حبُّك للشيء يُعمي ويُصمّ»[٢] فقال: يُعمي عن الدُّنيا، ويُصم عن الأخرى.

---

(١) الرسالة القشيرية ص٤٣٠ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٨٨ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٥٦٦ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦٩٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، والصحيح أنه موقوف.

وقال: لو علم منك التَّحقيقَ لوسَّع عليك الطَّريقَ، ولو سِرْتَ إليه في أوَّل المصائب لرأيتَ من لُطفه العجائب.

وقال الخلدي: سمعتُه ينشد: [من الطويل]

ولو نَطَقتْ بي ألسنُ الدَّهر خبَّرتْ بأنِّيَ في ثوبِ الصَّبابَةِ أرْفُلُ
وما إنْ لها عِلْمٌ بحالي ومَوْضِعي وما ذاك مفهومٌ لأنِّي مُثْقَلُ[1]

قال: ودخلتُ يوماً عليه وهو يبكي، فقلت: ما لكَ؟ فقال: فقدتُ أُنسي في الخلوة، وعدمتُ الإخوان الذين كنتُ أستأنِس بهم، ودون هذا مما يُبكي، وأنشد: [من الكامل]

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلةِ الهوى والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ[2]

[وحكى الخطيب[3] عن الخُلْدي عن] الجنيد قال: كلَّمتُ الحسنَ المُسُوحي في شيءٍ من الأُنس، فقال: لو مات مَنْ تحت السماء ما استوحشتُ.

ذكر وفاته:

[حكى السُّلميُّ عن الخطيب[4] قال:] دخل أبو العبَّاس بن عطاء عليه وهو في النَّزْع، فسلَّم عليه فلم يردَّ، ثمَّ ردَّ بعد ساعة وقال: اعذُرني فإنِّي كنتُ في وِرْدي السابع، ثمَّ حوَّل وجهَه إلى القبلة وكبَّر وتُوفِّي.

[وحكى السلمي أيضاً عن] أبي محمد الجَريري قال: كنتُ[5] واقفاً على رأس الجنيد وهو في الموت ـ وكان يوم الجمعة ـ وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم، ارفِقْ بنفسك، فقال: يا أبا محمد، ومَنْ أحوجُ منِّي في هذا الوقت إلى ما ترى؟ وهذه صحيفتي تُطوى، فقلت له: لو اضطجعتَ؟ فقال: هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر ومات.

---

(١) ذكر البيتين الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٣٨.

(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٢/ ٩٩٠.

(٣) في تاريخه ٨/ ٣٥٥.

(٤) في تاريخه ٨/ ١٧٣.

(٥) في (خ): وقال أبو محمد الجريري: كنت... ، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١)، والكلام في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٦.

وقال: يا أبا محمد، إذا متُّ فاتَّخِذْ لأصحابنا طعاماً، فإذا انصرفوا من الجنازة أكلوا لئلَّا يتشتَّتوا، فبكى الجريريُّ، وقال: والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منَّا اثنان أبداً، فكان كما قال[١].

وقال في «المناقب»: ختم الجنيدُ القرآن عند موته، ثمَّ ابتدأ من سورة البقرة، فقرأ سبعين آيةً ثمَّ مات.

واختلفوا في وفاته على ثلاثة أقوال؛ أحدها: في هذه السنة، قال الخطيب[٢]: توفِّي يوم السبت في شوَّال، وكان نَيروزَ الخليفة هذه السَّنة. والثاني في سنة ثمانٍ وتسعين [ومئتين. والثالث في سنة تسع وتسعين ومئتين[٣].

وغسَّله الجريريُّ، وصلَّى عليه ولدُه.

وقال ابن المنادي: ذكر[٤] لي أنَّه حُزِر الجَمْعُ الذين صلَّوا عليه فكانوا نحواً من ستين ألفاً، ودُفن بمقابر الشُّونيزيَّة، وقبرُه ظاهر يُزار...

وقال الجريري: كان[٥] في جوار الجنيد رجلٌ مُصاب في خَرِبَةٍ، فلمَّا رجعنا من الجنازة تقدَّمَنا ذلك المصاب، ووقف على تلٍّ وقال لي: يا أبا محمد، أتراني أرجع إلى تلك الخَرِبَة وقد فقدتُ ذلك السيِّد؟ ثم أنشأ يقول: [من مخلع البسيط]

وأسفي من فِراقِ قومٍ ... هُمُ المصابيحُ والحصونُ
والمُدْنُ والمُزْنُ والرَّواسي ... والخيرُ والأمنُ والسكونُ
لم تتغيَّر لنا اللَّيالي ... حتَّى توفَّتْهمُ المنونُ
فكلُّ جَمْرٍ لنا قلوبٌ ... وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

ثمَّ غاب، فكان آخرَ العَهْد به.

---

(١) ينظر طبقات الشعراني ١/ ٧٤.

(٢) في تاريخه ٨/ ١٧٧.

(٣) في (خ): واختلفوا في وفاته قال الخطيب يوم السبت... وقيل سنة ثمان وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين ومئتين، والمثبت من (ف م١).

(٤) في (ف م١): قال الخطيب: أخبرني الجوهري عن محمد بن العباس عن ابن المنادي قال ذكر، والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٧٧.

(٥) في (ف م١): وحكى في المناقب عن الجريري قال كان، والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٧.

[وحكى الخطيب[١] عن] جعفر الخُلْديِّ قال: رأيتُ[١] الجنيدَ في منامي فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فقال: طاحت تلكَ الإشارات، وذهبتْ تلك العبارات، وفَنِيَتْ تلك العلوم، ونَفِدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلَّا رُكيعات كنَّا نركعها في وقت السَّحَر.

لقي الجنيدُ خلقاً كثيراً من العلماء والشيوخ، فقال: صَحِبتُ خمس طبقات من أكابر النَّاس؛

فأوَّلُهم خالي سَرِيٌّ السَّقَطيُّ، والحارثُ بنُ أسد المحاسبيُّ، وأبو جعفر الخصَّاف، وأبو يعقوب محمد بن الصّباح، ونظراؤهم في السِّنِّ والمكانة.

والطبقة الثانية: أبو عثمان الورَّاق، وأبو الحسين بن الكريبي، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم، وحسن المُسُوحيُّ، ومحمد بن أبي الورد، ونظراؤهم.

والطبقة الثالثة: محمد بن وهب، و[أبو] يعقوبُ الزيَّات[٢]، وسعد الدمشقيُّ البزاز، ونظراؤهم.

والطبقة الرابعة: أبو القاسم الواسطيُّ، وأبو العبَّاس الأدَميُّ، وأبو أحمد المغازليُّ، ومحمدُ بن السمَّاك، ونظراؤهم.

والطبقة الخامسة، وهي التي نحن فيها، ما رأيتُ أحداً من هؤلاء زَحَمَتْه حاجةٌ فاحتشم صاحبه[٣] منها، وعلى هذا مضى أكابرُ أهلِ هذه الصِّفة.

أسند الجنيدُ الحديثَ عن الحسن بن عَرفة وغيرِه.

وقال الخطيب بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله» ثمَّ قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥][٤].

---

(١) في (خ): وقال جعفر الخلدي رأيت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٦.

(٢) في (خ): ويعقوب بن الزيات، والمثبت صفة الصفوة ٢/ ٤١٦.

(٣) في تاريخ دمشق ٧/ ١٢٨، زحمته جارحة عند صاحبه.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٦٩، وسلف تخريج الحديث قريباً، ومن قوله: وقال الخطيب بإسناده إلى هنا من (ف) (م١)، وجاء بعد هذا فيهما: انتهت ترجمة الجنيد والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[وفيها توفي]

عمرو بن عثمان

أبو عبد الله، المكِّي.

سكن بغداد، وكان شيخَ القوم في وقته، [وله الكلام الحسن،] صحب الجنيدَ وأبا عبد الله النِّباجيَّ وأبا سعيد الخراز وغيرَهم.

ذكر المختار من كلامه:

حكى أبو عبد الرَّحمن السلمي عنه أنه قال:

المروءة[1] التغافل عن زَلَل الإخوان.

وقال: العلم قائدٌ، والخوفُ سائقٌ، والنَّفس حَرُونٌ بين ذلك، خدَّاعة روَّاغة، فاحذرها وراعِها بسياسة العِلْم، وسُقْها بتهديد الخوف، يتمُّ لك ما تريد.

[وحكى عنه في «المناقب»[2] أنَّه] قال: كلُّ ما يتوهَّمه قلبُك، أو يَسْنَح في مجاري فكرك، أو يخطر في معارضات سِرِّك من نورٍ أو بهاءٍ، أو أُنْسٍ أو ضياءٍ، أو شبح أو خيال، فالله تعالى بعيدٌ من ذلك، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الآية [الشورى: ١١].

وقال: واغمَّاه من عَهْد لم تَقُم له بوفاء، ومِن خَلْوةٍ لم تُصحَب بحياء، ومن مسائلَ ما الجوابُ عنها غداً، ومن أيامٍ تَفْنى ويبقى ما كان فيها أبداً.

وحكى عنه [في «المناقب»[3] أيضاً] أنَّه رأى الحسينَ الحلَّاج يوماً يكتب شيئاً، فقال له: ما تصنع؟ فقال: أعارض القرآن، فدعا عليه وهَجَره، قال الشيوخ: فالذي حلَّ بالحلَّاج إنَّما كان بدعاء عمرو عليه.

---

(١) في (خ): وأبا سعيد الخراز وغيرهم ومن كلامه المروءة، والمثبت من (ف م١) وما يأتي بين معكوفين منهما، وانظر طبقات الصوفية ص٢٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٦، ومناقب الأبرار ١/ ٣٨١، والمنتظم ١٣/ ٩٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٠.

(٢) ١/ ٣٨٢.

(٣) ١/ ٣٨٤.

[واختلفوا في وفاته؛ فقال قوم:] مات عمرو ببغداد، والأصحُّ أنَّه مات بجُدَّة في هذه السَّنة، وقيل: سنة إحدى وتسعين ومئتين، وقيل: إنَّه وَلِي قضاءَ جُدَّة فهجره الجنيد [وقال: كان يُظهر الزهد في الدنيا ويتولى القضاء!].

أسند عن الرَّبيع بن سليمان [ويونس بن عبد الأعلى] وغيرِهما، وروى عنه الخُلْدي وغيرُه.

[وفيها توفي]

أبو الحارث الفَيْض بن الخَضِر بن أحمد

وقيل: الفيض بن محمد الأَوْلاسي الطَّرسوسي.

[قال السُّلَمي: هو] أحد الزُّهَّاد، وكان في صباه يتعانى اللهوَ والغناءَ، فاجتاز يوماً على مريض مطروح على قارعة الطَّريق، فقال له: ما تشتهي؟ فقال: رُمّاناً، فقال: فأتيته برمَّان فوضعتُه بين يديه، فرفع رأسه إلى السَّماء وقال: تاب الله عليك، فما أمسيتُ حتَّى تغيَّر قلبي عن ما كان عليه.

وخرجتُ إلى الحجِّ، فبينا أنا أسير في الليل مررتُ بقوم يشربون، وأجلسوني معهم، وعرضوا عليَّ الشراب، فقلت: أحتاج إلى البول، وذهبتُ في غابة وإذا بسَبُع، فقلت: اللهمَّ إنَّك تعلمُ ما تركتُ، وفيمَ خرجت، فاصرف عنِّي شرَّه، فولَّى وهو يُهَمْهِم.

ودخلت مكَّة فلقيتُ بها من انتفعتُ به، منهم: إبراهيم بن سعد العلويُّ.

وقال[1]: رأيت إبليسَ له جُمَّة شَعَر، فأقبلتُ أتملَّق له، وأقول: خَلِّني وربي، فقال: كيف أخلّيك وفي أبيك هلكتُ؟ والله لا أخلِّيكم حتَّى تهلكوا معي، فأخذتُ برأسه، وبركته على حَجَر، وأردت أن أخنِقَه، فذكرتُ أنَّ الله قد أَنْظَره إلى يوم القيامة فتركتُه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: أقمتُ ثلاثين سنةً ما يسمع لساني إلَّا من سِرِّي، ثمَّ أقمتُ بعد ذلك ثلاثين سنةً ما يسمع سِرِّي إلا من ربِّي. وكانت [وفاته] بطَرَسُوس.

---

(١) في (ف م١): وحكى عن ابن جهضم قال: والمثبت من (خ). وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ٥٨/ ٢١٩ ـ ٢٢٦، والمنتظم ١٣/ ٩٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٩٨.

[وفيها توفي]

محمد بن داود

ابن عليِّ بن خَلَفٍ، أبو بكر، الأصبهانيُّ، الظاهريُّ، صاحبُ كتاب «الزَّهْرة».

كان [على مذهب أبيه داود]، فصيحاً، عالماً، أديباً، فقيهاً، شاعراً، ذا فنون، وكان يُلَقَّب بعصفور الشَّوْك؛ لنحافته وصُفْرة لونه.

قال [الخطيب[1]] بإسناده عن] رُوَيم بن محمد [قال:] كنَّا عند داود بن علي [الأصبهاني]، إذ دخل عليه محمد ابنُه وهو يبكي، فضمَّه إليه وقال: ما يُبكيك؟ قال: الصبيانُ يلقِّبوني بعصفور الشَّوك، فضحك داود، فقال له ابنُه: أنت أشدُّ عليَّ من الصِّبيان، فقال داود: لا إله إلا الله، ما الألقاب إلَّا من السماء، ما أنت إلَّا عصفورُ الشوك.

[وروى الخطيب أيضاً بإسناده عن] أبي الحسن الداودي [قال:] لَمَّا جلس[2] محمد ابن داود بعد وفاة أبيه في حلقته استصغروه عن ذلك، فدسُّوا إليه رجلاً وقالوا: سَلْه عن حدِّ السُّكْر ما هو، فسأله الرجل وقال: متى يكون الإنسان سَكراناً؟ فقال محمد على البديه: إذا عَزَبتْ عنه الهمومُ، وباح بسرِّه المَكْتوم، [وفي رواية: حدُّ السُّكْر أن ترتفع الهموم ويُباح بالمكتوم] فاستحسَنُوا ذلك منه، وعلموا موضعَه من العلم.

وقال محمد: ما انْفَكَكْتُ من هوًى قطُّ منذ دخلتُ الكُتَّاب، وبدأتُ بعمل كتاب «الزَّهْرة» وأنا في الكُتَّاب، ونظر أبي في أكثره.

ودخل محمد يوماً على ثعلب النَّحْويّ، فقال له ثعلب: اذكر لي شيئاً من صَبْوَتك، فقال: [من الطويل]

سقى اللهُ أيَّاماً لنا ولياليا ... لهنَّ بأكنافِ الشبابِ مَلاعِبُ

إذ العيشُ غَضٌّ والزَّمانُ بغرَّةٍ ... وشاهدُ أوقات[3] المحبِّين غائبُ

فبكى ثعلب.

---

(١) في تاريخه ٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩ . وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

(٢) في (خ): وقال أبو الحسن الداودي لما جلس، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١). وكلام الخطيب في تاريخه ٣/ ١٥٩ .

(٣) في تاريخ بغداد ٣/ ١٦٠ ، والمنتظم ١٣/ ٩٩ : آفات.

وروى الخطيب عن القاضي [أبي عمر محمد بن] يوسف بن يعقوب قال: كنت[١] أُساير أبا بكر بن داود، فسمع جاريةً تغنّي بشعره وتقول: [من البسيط]

أشكو غَليلَ فؤادٍ أنت مُثْلِفُهُ ... شكوى عليلٍ إلى إلْفٍ يعلِّلُهُ
سُقمي تزيد على الأيَّام كثرتُهُ ... وأنتَ في عُظْم ما ألقَى تُقلِّلُهُ
الله حرَّم قَتْلي في الهَوى سَفَهاً ... وأنتَ يا قاتلي ظُلْماً تُحَلِّلُهُ

فقال محمد: يا أبا عمر، كيف السَّبيل إلى ارتجاع مثل هذا؟ فقلت: هيهات، سارت به الرُّكبان.

وساير محمد بن داود ابنَ سُرَيج يوماً في طريق ضيِّق، فقال ابنُ سُريج: الطَّريق يُورثُ العُقوقَ، فقال أبو بكر: ويُوجب الحقوق.

ومن شعر محمد: [من الطويل]

حملتُمْ جِبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لَأَعْجزُ عن حَمْلِ القميصِ وأضعُفُ
وما الحُبُّ من حُسْنٍ ولا من سَماحةٍ ... ولكنَّه شيء به الروحُ تَكْلَفُ

ومن شعره: [من البسيط]

يا يوسفَ الحُسْنِ تمثيلاً وتشبيهاً ... يا طَلْعةً ليس إلَّا البدرُ يَحكيها
مَن شَكَّ في الحُور فلْينظرْ إليك فما ... صِيغتْ مَعانيك إلَّا من معانيها

وقال أيضاً: [من الطويل]

أُكَرِّر في رَوْضِ المحاسنِ مُقْلَتي ... وأمنَعُ نَفْسي أنت تنالَ مُحرَّما
رأيتُ الهوى دَعوى من الناس كلِّهم ... فما إن أرى حُبًّا صحيحاً مسلَّما

ومن شعره وهو أحسن ما قيل[٢]: [من الطويل]

وإنِّي لأدري أنَّ في الصَّبْر راحةً ... ولكنَّ إنفاقي على الصَّبْر من عُمري
فلا تُطْفِ نارَ الشَّوق بالشَّوق طالباً ... سُلُوًّا فإنَّ الجَمْرَ يُسْعَر بالجَمْرِ

ذكر وفاته:

---

(١) في (خ): وقال القاضي يوسف بن يعقوب كنت، والمثبت من (ف م١)، وما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٣/ ١٦١، والمنتظم ١٣/ ١٠٠.

(٢) في (خ): وقال أيضاً، والمثبت من (ف م١).

حكى الخطيب وغيره أن محمداً كان يهوى[١] فتًى حَدَثاً من أهل أصبهان يقال له: محمد بن جامع، ويقال: محمد بن زُخْرُف، وكان أبو بكر عفيفاً طاهراً في عِشْقه، وكان ابنُ جامع يُنْفق عليه، وما رأى النَّاسُ معشوقاً يُنفق على عاشقه إلَّا هو، وما زالت محبَّتُه به حتَّى قَتَلَتْه.

ودخل ابنُ جامع الحمَّام يوماً، وخرج فأخذ المرآة، فنظر إلى وجه نفسه، فأعجبه وجهُه فغطَّاه بمنديل، وجاء إلى ابن داود وهو على تلك الحالة، فقال له: ما هذا؟ فقال: نظرتُ في المرآة، فأعجبني حُسْني، فما أحببتُ أن يراه أحد قَبْلَك، فغُشي على ابن داود.

قال الخطيب: ودخل عليه إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة النَّحْويُّ المعروف بنِفْطَويه وقد ضَني[٢] على فراشه، فقال له: يا أبا بكر، ما هذا الضَّنى مع القُدرة والمحبوب مُساعد؟ فقال: أنا في آخر يوم من أيام الدُّنيا، لا أنالني اللهُ شفاعةَ محمد ﷺ إن كنتُ حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قطُّ، حدَّثني أبي بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عَشِق وكَتَم وعَفَّ وصبر، ثمَّ مات مات شهيداً، وأدخله الله الجنَّة»[٣].

قال المصنف رحمه الله: والحديث رواه الخرائطيُّ رفعه إلى ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عَشِق فعفَّ فمات فهو شهيد[٤]».

[قال الخطيب:] توفِّي أبو بكر ابن داود يوم الإثنين لتسعٍ خلون من رمضان سنة ستٍّ، أو سبعٍ، أو ثمانٍ وتسعين ومئتين[٥]، وروى عن أبيه وغيرِه، ولَمَّا مات محمد جلس ابن سُريج في عزائه، وبكى، وجلس على التُّراب وقال: ما أسفي إلَّا على ترابٍ

(١) في (خ): ذكر وفاته كان محمد يهوى، والمثبت من (ف م١).

(٢) في (خ): ودخل عليه إبراهيم نفطويه وقد ضني، والمثبت من (ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٣/ ١٦٥ .

(٣) بعدها في (ف) و(م١): قلت: قاتل الله نفطويه، أما كفى ابنَ داود ما هو فيه من النظر إلى المحرم حتى يزيّن له الفاحشة التي يفضي بها إلى نار جهنم.

(٤) اعتلال القلوب للخرائطي ص٧٩ ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٧٧٢ : هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٦٧ ، ومن هنا إلى آخر السنة ليس في (ف م١). وانظر مروج الذهب ٨/ ٢٥٤ ، والسير ١٣/ ١٠٩ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٢٣ .

أكل لسانَ أبي بكر.

محمَّد بن طاهر بنِ عبد الله

ابنِ طاهر بن الحسين، أبو العبَّاس، النَّيْسَابوريُّ.

أميرٌ ابن أميرٍ ابنِ أميرٍ ابن أميرٍ، ولَّى المأمون جدَّه طاهراً الجزيرةَ والرَّقَّة، ثمَّ خُراسان، فمات، فولَّاها ابنَه عبد الله، فمات، فوليها ابنُه طاهر، فمات، فوليها ابنُه محمد صاحب هذه الترجمة، فكانت مدَّةُ إمارة بني طاهر من أيَّام المأمون إلى هذه السنة، وكان يعقوب بن الليث الصفَّار قد ظفر بمحمَّد، فكان معه أسيراً يطوف به البلادَ إلى سنة اثنين وستِّين ومئتين، خَلُص من أسره، فلم يزل مقيماً بمدينة السَّلام حتَّى مات.

سمع محمد بن طاهر من إسحاقَ بنِ راهويه وغيره، وروى عنه أحمدُ بن حاتم المَرْوزيّ، ومات ببغداد في أيَّام المقتدر سنة ثمانٍ أو سبعٍ وتسعين ومئتين، ودُفن إلى جانب عمِّه محمد بن عبد الله بن طاهر بمقابر قريش[١].

محمد بن العبَّاس بن محمد

ابن عمرو الجُمَحيُّ، القاضي.

أصلُه من البصرة، وسكن دمشقَ بعد التِّسعين ومئتين.

وكان وَرِعاً، صالحاً، فاضلاً، عَفيفاً، وإذا تقدَّم إليه ذو جاهٍ لا يلتفت إليه.

جاءه ابنُ زُنْبُور الوزير ومعه كيغلغ[٢]، فجلسا عنده، فقال له الوزير: للأمير كيغلغ حكومةٌ، يشتهي أن تقضيَ فيها على اختلاف العلماء، فغمَّض عينيه وقال: والله لا أفتحهما وأنتما جالسان، فما فتحهما حتَّى قاما من مجلسه، وما قام قطُّ لظالمٍ.

وكان له بيتٌ صغير، إذا جاءه أحد من أبناء الدُّنيا قام فدخل البيت، فإذا جلس الرجل قام فخرج.

وكتب إليه محمَّد بن علي ابن الشيخ الماذرائي أبياتاً يعاتبه فيها: [من المتقارب]

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٦١، والمنتظم ١٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٣٠.

(٢) في تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٦٤: أبو زنبور ومعه ابن كيغلغ.

يَعزُّ على مُشْفِقٍ أن يَراك ... قريباً لمَن لستَ من شَكْلِهِ
وأنتَ الذي لو تأمَّلْتَه ... لأكْبَرتَ قَدْرَك عن مِثلِهِ
فهَبْكَ رضيتَ قضاءَ الشآم ... وصِرْتَ رئيساً على أهله
ألستَ العَليمَ بأنَّ الفَناءَ ... على آدمٍ وبني نَسْله
فماذا تقولُ إذا ما دُعِيتَ ... إلى مَجْمَعٍ ماجَ من حَفْله
وقيل هلُمُّوا بأشياعِكم ... وبالجُمَحيِّ على رِسْله
فهبْكَ اصطَفَيْتَ خراجَ البلاد ... وما كان في الحَزْن أو سَهْله
ولستُ أقولُ لما قد جَمَعْتَ ... حراماً ولكنَّ من حِلِّه
فهل فيه فَخْرٌ لذي حِكْمةٍ ... وقَيْدُ المَنيَّةِ في رِجْله

وكانت وفاتُه بدمشقَ، وبقي البلدُ شاغراً من قاضٍ أيَّاماً، حتَّى وليه أبو زُرْعة محمد ابن عثمان.

يوسف بن يعقوب[1] بن إسماعيل

ابن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو محمد، البَصْريُّ، مولى آل جرير بن حازِم الأَزْدي.

وُلد سنة ثمانٍ ومئتين، ولي قضاءَ البَصْرة سنة ستٍّ وسبعين ومئتين، وضُمَّ إليه قضاءُ واسط، ثمَّ أُضيف إليه قضاء الشَّرقية ببغداد.

وكان حسنَ السِّيرة، جميلَ المذهب، مستقيمَ الطَّريقة، صالحاً، ورعاً، عفيفاً، حاكماً بالحقِّ، مات مصروفاً عن القضاء في رمضان، غير مطعونٍ عليه في شيء.

سمع سليمانَ بن حَرْب وغيرَه، وروى عنه ابنُ قانع وغيره.

ولما احتضر دخل عليه إخوانُه يعودُونَه فقالوا: كيف تجدُك؟ فقال: [من الوافر]

أرانيَ في انتقاصٍ كلَّ يومٍ ... ولا يَبْقى مع النُّقصانِ شيُّ
طَوَى العَصْران ما نَشَراه منِّي ... فأخْلَقَ جِدَّتي نَشْرٌ وطَيُّ

(١) في (خ): محمد بن يعقوب، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٥٦، والمنتظم ١٣/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٦٩.